مرثية الوجه القادم في الحلم

مصطفى خضر

— ١ —

أي وجه يخرج الآن من الوجه القتيل
يعبر الآن اللغات ، المدن المسدودة ، العصر النبيل
أي وجه ! .
أول الوجه هنا أم آخر الوجه يضيء
أم بقايا امرأة في أول الوجه وفي آخره ،
تنتظر الصبر الجميل !
أم بقايا الوطن المرسوم بالحبر وبالنفط يضيء
عابرا في جثة الماء ، وفي ليل التقارير الطويل
داخلا بين ملفات الوجوه :
هوذا الوجه القتيل !
انه فاتحة الخبز ،
وهذا نهر الاطفال يجري
في زوايا ردهات القبل المحتلة ...
(القدس تضيق ...)
(الجسد المقتول يجري ، ويضيق ....)
(امرأة تجري الى داخلها مصعوقة ...)
(والارض ما زالت تضيق !)
كيف لا تتسع الارض، ولا تنبت فيليل العيون الكلمات
عندما يتسع العصر ،
ويؤوي كل وجه غائب فينا ، وآت ...
كيف لا تتسع القدس ، ولا يتسع العصر النبيل !
اقبلي ، واكتشفي :
كيف تساوى الحي والميت ،
تساوى الموت والميلاد ،
في العصر النبيل !
أيها الوجه الذي ليس يرى بين الوجوه !
يخلع الموت البطيء !

— ٢ —

كيف يخلع وجه القتيل لباسه ،
تبتدىء امرأة بالخروج من الاسود المتوسط ،
تبتدىء امرأة تتكسر في قبة الاحمر المتوسط ،
أم سرة الابيض المتوسط
تستقبل العالم : الاول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ـ
المتقاطع ،
مخلوقة من رماد الامومة ،
في دورة الحلم والحيض ،
بين بقايا المجاذيب والفقراء ...
وفي دورة النفط والقمح يبدأ ليل القتيل
ابتدىء أيها الوقت :
رأس الطفولة ما يتدلى !
ابتدىء !، يبدأ الوطن المتمدد تسريح شعره او قدميه
على حافة الابيض الاحمر الاسود ،
المتوسط !
يدخل في جلده المتقشر ،
يخرج من دمه الآدمي ،
ومن مائه الآدمي ،
ومن مخه الآدمي ...
ابتدىء أيها الوقت ، وامتد !
يتسع الدم ، يمتد بين الطفولة والقتل ،
بين الامومة والقتل
يدخل ، يخرج في ظلموت الطفولة والقتل ،
او ظلموت الامومة والقتل ،
بين قناة الدم الابيض الاحمر الاسود ...
التربة العربية تسقط ، تنهض ،
يتسع الحلم في امرأة طرحت
في الرؤوس التي ثقبت ، بانتظار
تضيء قناديله خوذة الغربة العربية ،
بعد الحصار ، الحصار ، الحصار ...
ويخلع وجه القتيل لباسه ،
أي دليل
يراه ، فيلمس وجهه ، يخلع وجهه ...
أي حصار ثقيل ، ثقيل ، ثقيل ...

— ٣ —

لعيون القبل الملأى بارواح العصافير ،
وماء الوطن المكتوب بين الموت والميلاد ،
في كل الجهات
هل يقيم الحب في فخذيك ، والعصر النبيل
هل يلبي شهوة الوجه الذي يطلع مغلوبا من الأمة ،
حيث انفجر الحق بكل الشهداء
خطوة ! أم خطوات !

أقبلي ، واحتفلي : كيف تساوى الحي والميت ،
وكان الوطن المكسور يسعى في صدور الفقراء
هوذا في ورق النفط ،
وأسنان طيور القمح
تحميه بيانات ، وتؤويه جيوب السفراء
حاملا اوسمة أم عدسات
للوجوه الملكية ...
اختلطت كل الوجوه :
اي وجه يلبس الجلاد والفادي معا بين الدماء !
والدم المذعور ما زال يحل القبل الملأى
بأوهام الجواسيس ، وأصوات العيون العربية !
(ـ أين شاهدت لقاح الحرب ؟
هل شاركت في الحرب ؟
وهل أطلقت في الماء رصاصات السكينه
عل تاريخا من الاطفال والزعران تطويه المدينه !
وهنا راهنت ! كانت أمة تبكي ،
وكانت أمة تسعى رهينه !)
هل تضيء اللغة الظل ، يضيء الصوت ،
ينمو الماء في أي الجهات ـ
العالم المملوء بالخسران يحشو جسد الثورة
بالأصوات ...
هذي الأمة المقطوعة الاطراف يطويها الحصار !
عددي أسماءك الحسنى ، وقصي بالمقص الامريكي
صفيح الفقراء
واعذري بالأمة الملغومة الثديين في السر ، وفي
الجهر ...
تساوى الحي والميت ، وآخيت الضحيه !
سقط الحاضر ! لم يسقط !
وهذا نهر الاطفال يجري
في زوايا ردهات القبل المحتلة ...
(القدس تضيق... الجسدالمذعور يجري ويضيق..
امراة تجري الى داخلها مصعوقة ...
والارض ما زالت تضيق !)

ـ ٤ ـ

كيف يبتدىء الرحلة الغرباء : المجاذيب ، والفقراء
كيف تبتدىءامراة بالبكاء
كل من قتلوا يقبلون ، ومن اقبلوا يقبلون ،
الى نجمة الابيض المتوسط
في ليلة الاحمر المتوسط
في لغة الاسود المتوسط ـ
ينهمر الشعب : شاهدة ، خلف شاهدة ، خلف
شاهدة ،
يقبل الشعب : في الوجه ارث خفي
ويحمل ، أحمل ، راسه ، راسي ، بين يديه ، وبين
يدي
ويبتدىءالوطن المتمدد تشريح جثته العربية ،
تسريح جثته الوطنية ...
(ـ زيتونة الساحر الامريكي تثمر ،
ـ غربية هي ...
ـ شرقية
وتضيء !)
ويخرج وجه الشهيد ، ويدخل بين الملفات في الرحلة
البدوية ،
والعودة الملكية
تبتدىء !
ابتدأ العصر !
(والعصر)
ابتدىء الآن في رحلة العصر :
(انا فتحنا لك الآن !)
اين القتيل (الشهيد) سيقطن ؟
اي مصالحة خلف هذي التظاهرة الوطنية ؟
أي دليل يجيء
الى خيمة الوطن المتمدد ،
أو فندق اللغة المستحيلة ...
يا أيها الوقت :
ها نحن نبتدىء الآن ، نسقط ، ننهض ،
أصواتنا تتقاطع ، لا ... تتكسر ! ، لا ...
تتآخى مع العصر ...
عصر نبيل
يضيء رماد الامومة
في دورة الابيض الاحمر الاسود
المتوسط
يشعل مخ الطفولة :
والقدس في العودة الملكية
محشوة بالوجوه المعدلة ،
القدس تخرج من عذرة وهي تضمر بعد امتلاء
ويمتلىء الفم بالصوت ،
يمتلىء الصوت بالفم ،
يمتلىء الفم والصوت بالدم ،
يبتدىء العرب : الغرباء ، المجاذيب ، والفقراء
التضاد مع العصر !
يبتدىء الشهداء الخروج من الوطن المستقيل !

حمص — مصطفى خضر